كأن المثين مباد ، وهذه مثان وقد تكون المثانى سور القرآن كلها قصارها وطوالها ويقال من ذلك قول الله عز وجل ـ كتابا متشابها مثانِيَ ـ ومنه قوله تعالى ـ ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم ـ وإنما سمى القرآن مثانىَ لأن الأنباء والقصص تثنى فيه ،ويقال المثانى فى قوله عزوعلا ـ ولقد آتيناك سبعاً من المثانى والقرآن العظيم ـ يريد آيات سورة الحمد ، سماها مثانى لأنها تثنى فى كل صلاة . والمفصل ما يلى المثانى من قصار السور سميت مفصلا لقصرها وكثرة الفصول فيها بسطر بسم الله الرحمن الرحيم. وأما آل حاميم فانه يقال إن حمٓ اسم من أسماء الله عز وجل أضيفت هذه السورة اليه كأنه قيل سورة الله لشرفها وفضلها قال الكميت :

وجدنا لكم فى آل حاميم آيةً تأوّلها منا تقى ومعرب

وقد يجعل حاميم اسما للسورة ويدخله الاعراب ولا يصرف ومن قال هذا قال فى الجمع الحواميم كما يقال طسٓ والطواسين

﴿ غريب سورة يونس عليه السلام ومشكلها ﴾

قوله عز وجل (قَدَمَ صِدْقٍ) يعنى عملا صالحاً قدموه . (وَقَدَّرَهُ مَنازِلَ) أى جعله ينزل كل ليلة بمنزل من النجوم وهى ثمانية وعشرون منزلا فى كل شهر (إنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) أى لا يخافون (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ استِعْجالَهم بِالخَيْرِ) إذا دعوا به على أنفسهم عند الغضب وعلى أهليهم وأولادهم واستعجلوا به كما يستعجلونه بالخير ويسألونه الرزق والرحمة

(لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ) أى لماتوا ففى الكلام حذف للاختصار كأنه قال ولو يعجل الله للناس إجابتهم فى الشر الذى يستعجلونه استعجالهم بالخير لهلكوا ﴿غ﴾ (وإذا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً) يعنى فرجا من بعد كرب (إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا) أى قول بالطعن والحيلة ليجعلوا لتلك الرحمة سببا آخر (إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ) أى ماتقولون (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) أى نظرة إلى يوم القيامة (أُو بَدِّنْهُ) كانوا يقولون للنبى ﷺ اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة (وَلَا أَدْرَاكُمْ به) أى ولا أعلمكم به (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ) دنوا للهلكة وهو استعارة وأصل هذا أن العدو إذا أحاط ببلد فقد دنا أهله من الهلكة. (فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ) يريد أن الأرض أنبتت بنزول المطر فاختلف النبات بالمطر فاتصل كل واحد بصاحبه (حتى إذا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا) أى زينتها بالنبات. وأصل الزخرف الذهب، ثم يقال للنقش وللنور والزهر، وكل شىء زين زخرف. يقال أخذت الأرض زخرفها وزخارفها، أى زخرت بالنبات كما تزخر الأودية بالماء (وَجَرَيْنَ بِهِمْ) قد ذكر فى باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه حيث يخاطب الشاهد بشىء ثم يجعل الخطاب له على لفظ الغائب، وكذلك قول الله عز وجل ـ حتى اذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ـ ومثله ـ وما آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ـ ﴿غ﴾ (وظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا) أى على ما أنبتته من حب وثمر (كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ) أى كأن لم تكن عامرة بالأمس

والمغانى : المنازل . واحدها مغنى وغنيت بالمكان اذا أقمت به (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى) أى المثل (وَزِيَادَةٌ) التضعيف حتى تكون عشراً وسبعمائة وما شاء الله ، يدل على ذلك قوله عز وجل ـ والذين كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا ولا يرهق وُجوهَهُم قَتَرٌ ولا ذِلَّةٌ ـ أى لا يغشاها غبار وكذلك ـ القترة ـ (مَالَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ) أى من مانع (كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا) جمع قطعة ومن قرأها قطعا من الليل أراد اسم ماقطع تقول قطعت الشىء قطعا فتنصب أول المصدر واسم ماقطعت منه فسقط قطع (فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ) أى فرقنا بينهم وهو من زال يزول وأزلته (هُنَالِكَ تَتْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ) أى تقرأ فى الصحف ما قدمت من أعمالها ومن قرأ تبلو أراد تختبر (حقَّت كَلِمَاتُ رَبِّكَ) أى سبق قضاؤه (أَمَّنْ لَا يَهِدِّى) أراد من لا يهتدى فأدغم التاء فى الدال . ومن قرأها يهدى خفيفة فانها بمعنى يهتدى . قال الكسائى : يقول قوم من العرب : هديت الطريق بمعنى اهتديت (وما كَانَ هَذَا القُرآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللهِ) أى يضاف إلى غيره أو يختلق (وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ) أى عاقبته (قل إى وَرَبِّى) اى : بمعنى بلى ، وهى تأتى قبل اليمين صلة لها . ﴿غ﴾ (قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ) فضله الاسلام ورحمته القرآن (يُفِيضُونَ فِيه) أى يأخذون فيه يقال أفضنا فى الحديث ﴿ش﴾ (وما يَعْزُبُ عَنْهُ) أى ما يبعد ولا يغيب (مِثْقَالُ ذَرَّةٍ) أى وزن نملة صغيرة (لَهُمُ الْبُشْرَى فِى الحَيَاةِ الدُّنْيَا) يقال الرؤيا الصالحة (وفِى الآخِرَةِ) الجنة (لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ) أى لا خلف

لمواعيده (وإن هم إلا يخرصون) أى يحبسون ويحزون (إن عندكم من سلطان بهذا) أى ماعندكم من حجة (فأجمعوا أمركم وشركاءكم) أى فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم (ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) أى غما عليكم كما يقال كرب وكربة (ثم اقضوا إلى) أى اعملوا بى ماتريدون (ولا تنظرون) ومثله ـ فاقض ما أنت قاض ـ أى اعمل ما أنت عامل (أجئتنا لتلفتنا) أى لتصرفنا يقال : لفت فلانا عن كذا إذا صرفته . والالتفات منه انما هو الانصراف عما كنت مقبلا عليه (وتكون لكما الكبرياء فى الأرض) أى الملك والشرف (على خوف من فرعون وملائهم أن يفتنهم) الملأ الأشراف والأصحاب أن يفتنهم وأن يقتلهم ويعذبهم (واجعلوا بيوتكم قبلة) أى نحو القبلة ويقال : اجعلوها مساجد (اطمس على أموالهم) أى اهلكها وهو من قولهم طمس الطريق اذا عفا ودرس (واشدد على قلوبهم) أى اقسها (فأتبعهم فرعون) لحقهم يقال : اتبعت القوم لحقتهم وتبعتهم كنت فى إثرهم (وعدوا) أى ظلما (فاليوم ننجيك ببدنك) قال أبو عبيدة : نلقيك على نجوة من الأرض، أى ارتفاع. والنجوة والنبوة ما ارتفع من الأرض ببدنك أى وحدك (لتكون لمن خلفك آية) أى بعدك (بوأنا بنى إسرائيل مبوأ صدق) أى أنزلناهم منزل صدق . ومن باب التعريض : قوله جل ثناؤه ـ فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك ـ وقد ذكره أبو محمد فى باب الحكاية عن الملحدين الذين ادعوا أن فى القرآن تناقضا واختلافا، فقالوا فى هذه الآية : هل كان النبي ﷺ شك فيما أتى به جبريل عليه السلام ؟ وكيف

يدعو الشاكين وهو على مثل سبيلهم ؟ وكيف يرتاب بما يأتيه به الروح الأمين ، ويأتيه البلج واليقين بخبر أهل الكتاب عنه أنه حق وهم يكذبون ويحرفون ، ويقولون على الله مالا يعلمون ؟ فرد عليهم أن المخاطبة للنبي ﷺ والمراد غيره . قال أبو محمد : فى هذه الآية تأويلات ﴿أحدها﴾ أن تكونَ المخاطبةُ لرسولِ الله ﷺ والمرادُ غيرُه من الشُّكَّاكِ . لأن القرآن نزل عليه بمذاهب العرب كلها وهم قد يخاطبون الرجل بالشيء يريدون غيره ولذلك يقول متمثلهم : * إياكِ أعني واسمعي ياجاره * ومثله قوله عز وجل ـ يأَيها النبيُّ اتَّقِ اللهَ ولا تُطِعِ الكافرِينَ والمنافِقينَ إن اللهَ كانَ عليماً حكيماً ـ الخطاب للنبي ﷺ والمراد بالوصية والعظة المؤمنون ، يدلك على ذلك قوله تعالى ـ واتَّبِعْ ما يُوحى اليكَ من ربِّكَ إن الله كان بما تعملون خبيراً ـ ولم يقل بما تعمل خبيراً . ومثل هذه الآية قوله ـ واسأل من أرْسَلنا مِنْ قبلِكَ مِن رُسُلِنا ـ يعني أهل الكتاب فالخطاب للنبي ﷺ والمراد المشركون . ومثل هذا قول الكميت فى مدح رسول الله ﷺ :

إلى السِّراج المنير أحمد لا ... تعدلني رغبة ولا رهب
عنه إلى غيره ولو رفع الـ ... ـناس إليَّ العيونَ وارتقبوا
وقيل أفرطت بل قصدت ولو ... عنَّفني القائلون أو ثلبوا
لجَّ بتفضيلِكَ اللسانُ ولو ... أكثر فيك اللجاج واللَّجَبُ
أنت المصفى المحض المهذب في النـ ... ـسبة إن قصَّ قومكَ النسبُ

فالخطاب للنبي ﷺ وانما أراد أهل بيته ؟ فورى عن ذكرهم به وأراد

بالعائبين واللائمين بنى أمية وليس يجوز أن يكون هذا للنبى ﷺ لأنه ليس من المسلمين أحد يسوءه مدحه ﷺ ولا يعنف قائلا عليه، ومن ذا يساوى به أو يفضل عليه ؟ حتى يكثر فى مدحه الضجاج واللجب ؟ وإن الشعراء ليمدحون الرجل من أوساط الناس فيفرطون ويطنبون ويغلون وما يرفع الناس اليهم العيون ولا يرتقبون فكيف يلام على هذا الاقتصاد فى مدح من الافراط فى مدحه تفريط ؟ ولكنه أراد أهل بيته . والتأويل الآخر أن يكون الناس كانوا فى عصر النبى ﷺ أصنافا، منهم كافر به مكذب لا يرى إلا أن ماجاء به الباطل، وآخر مؤمن به مصدق يعلم أن ماجاء به الحق، وشاك فى الأمر لا يدرى كيف هو فهو يقدم رجلا ويؤخر رجلا، فخاطب الله عز وجل هذا الصنف من الناس فقال ـ فان كُنْتَ ـ أيها الانسان ـ فى شكٍّ مما أنزلنا إليكَ ـ من الهدى على لسان محمد ـ فسَلِ ـ الأكابر من أهل الكتاب والعلماء ـ الذين يقرءون الكتاب من قَبْلِكَ ـ مثل عبد الله بن سلام وسلمان الفارسى، وتميم الدارى وأشباههم، رحمة الله عليهم. ولم يرد المعاندين منهم فيشهدون على صدقه ويخبرون بنبوته، وما قدمه الله عز وجل فى الكتب من ذكره وقال ـ أَنْزَلنَا إليكَ ـ وهو يريد غير النبى ﷺ، كما قال فى موضع آخر ـ لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكرُكُمْ ـ ووحد وهو يريد الجمع كما قال ـ يأيها الانسان ماغرّكَ بربّكَ الكريم ـ ويأيها الانسان إنك كادحٌ إلى ربِّكَ كَدْحا ـ وإذا مس الانسانَ ضُرٌّ ـ ولم يرد فى جميع هذا إنسانا بعينه إنما هو لجماعة الناس ومثله قول الشاعر